العنف في الحرب لان هذا الاستخدام نابع من طبيعة الاشياء . ومن الخطأ التنديد بأية استراتيجية عسكرية لاستخدامها العنف لان هذا العنف يأخذ في لحظة الصدام اهمية اساسية لا غنى عنها خاصة وأنه لا يمكن الرد على عدو عنيف بتدابير سلمية او بنصف تدابير . واذا كنا ندين العنف الاسرائيلي أو أي عنف عنصري استعماري فان هذه الادانة لا تشمل فكرة العنف نفسها — فهناك عنف شرعي تحريري — ولكنها تشمل الاهداف الكامنة وراء العنف القمعي الاستعبادي . ولا يستهدف حديثنا هنا بحث مسألة العنف الاسرائيلي ، بل بحث مسألة الرد الاعنف اي بحث تقنية معينة يستخدمها العدو في الرد خلال العمل .

تعمل القوات الاسرائيلية دائما على تصعيد العنف ، وترد على كل ضربة تسددها لها القوات العربية النظامية او قوات المقاومة بضربة أعنف تستهدف ازالة الاثر المعنوي الجيد الذي تتركه الضربة العربيـــة بين صفوف الجماهير العـــربية ، ورفع معنويات يهود العالم والاسرائيليين في الاراضي المحتلة . وتحاول مخططات العدوان المعادية دائما انزال اكبر خسارة بالقوة العسكرية العربية لتحقيق **الردع المادي** مع الحاق خسائر جسيمة بالسكان المدنيين لتحقيق **الردع المعنوي** ، وشل القيادات ومنعها من متابعة التخطيط لعمليات قد يدفع الاهالـــي المسالمون ثمنها غاليا . ومـــن أهم مبادىء الرد الاسرائيلي الاعنف **هو أن تكون له الضربة الاخيرة عند توالـــي الضربات والضربات المعاكسة** . ويعتمد العدو في تحقيق ذلك على قدرته على التصعيد ورغبته به ، وعدم رغبة القوات العربية بالتصعيد او عدم قدرتها عليه .

ويدل سجل حوادث الحدود العربية — الاسرائيلية منـــذ بدء الصراع حتى اليوم ، ان العدو كان يرد على كل عملية تشنها المقاومة الفلسطينية والقوات العربية النظامية بعملية كبيرة تتجاوز ابعاد العملية العربية . ويذكر الصحفي شبتاي طيفت : « كـــان الكثيرون عندنا يريدون ان يروا اعمال انتقام ارهابية . ويعتقـــد الكثيرون ان هذه هي الطريقة الوحيدة لمحاربة الارهاب العربي »(٨٢) . ويفسر المنظرون الاسرائيليون ذلك بأنه عبارة عن سياسة « السن بالسن » التي تطورت بعد ذلك الى تكديس حساب عدة عمليات وتسديده بعملية انتقامية واسعة النطاق وصفها ليفي اشكول بقوله : « لا يجب أن نتصرف دائما طبقا لسياسة السن بالسن ، فمن الممكن ايضا ان تكون هناك مجموعة من الاسنان بدلا من سن واحدة »(٨٣) . ويقول زئيف شيف عن عمليات الانتقام ضد العرب « ان العقاب لا يكفي بل يجب تحديد ثمن مضاعف او اكثر لكل عملية اضرار بنا »(٨٤) . وهذا ما عبر عنه دايان منذ البداية بـــ « تحديد ثمن باهظ لدمائنا »(٨٥) .

وبالرغم من رغبة العدو الدائمة بتسديد الضربة الاعنف ، فان مخططاته لا تتجاهل كليا التحديدات المحلية والعالمية للعمل . ففي خلال حـــرب الاستنزاف ، وبعد أن قـــرر الاسرائيليون تسديد ضربة اعنف للمصريين في العمق رأوا — حسب ما يذكر كتاب **انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي** — « انه يجب تجنب أن تصيب الضربات الاسرائيلية العرب اصابة بالغة حتى لا يجد الروس انفسهم دون خيار امـــام ضرورة ان يخفوا لنجدتهم »(٨٦) . ويذكر الكتاب نفسه أن من التحديدات التي حسب الاسرائيليون حسابها قبل تسديد ضربة جوية عنيفة للرد على عمليات الكوماندوس المصرية في تموز ١٩٦٩ : تحديدات ثلاثة هي : الرغبة بادخار الطائرات الاسرائيلية القليلة لمرحلـــة الصدام ، والخوف من أن يرد المصريون بطيرانهم الذي زادت قوته ، والخوف من رد فعل سوفييتي عنيف . وان هذه التحديدات لم تمنعهم رغم ذلك من قصف القطاع الشمالي بعنف في ٢٠ و٢٢ تموز بشكل صعد العمليات على الجبهة وزاد حدة التوتر . ولما سئل الجنرال عيزر وايزمان عن سر هـــذا التصرف رد بقوله : « لقد كان هـــذا التصعيد لمنـــع التصعيد »(٨٧) .